مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: دلالات المكان في رواية "يوميات نائب في الأرياف" لتوفيق الحكيم
اسم الكاتب: صباح هابس السويفان
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/9135
تاريخ الاسترداد: 2026/06/07 09:25 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

عدد A

المجلد 18، العدد 2
جمادى الأول 1443هـ / ديسمبر 2021م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

ديسمبر 2021م **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** المجلد 18 العدد 2 (A)
https//: doi.org/10.36394/jhss/18/2A/2

دلالات المكان في رواية «يوميات نائب في الأرياف» لتوفيق الحكيم

صباح هابس السويفان[1]

تاريخ الاستلام: 23-01-2018 **تاريخ القبول: 20-12-2018**

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث المكان ودلالاته وسياقات حضوره في رواية» يوميات نائب في الأرياف»، ونسعى في هذا البحث إلى تحليل دور المكان وحدوده وموقعه في الرؤية السردية؛ لذا سنقوم بالوقوف على الآليات التي وظفها الراوي في مسعاه لرسم فضاء الريف وأثر ذلك الفضاء في الشخصيات ودوره في رسم ملامحها وتحديد مواقفها وتقديم رؤاها، فضلا عن دور المكان في إرساء تقاليد اجتماعية وثقافية وسياسية تنسجم والرؤية السردية التي تنهض بها الرواية.

الكلمات الدالة: دلالات، المكان، رواية، نائب، الأرياف.

(1) كلية الآداب - جامعة الكويت (مدينة الكويت - الكويت)
alsowaifan@yahoo.com

المقدمة:

تمثل رواية «نائب في الأرياف» أحد نتاجات التيار الواقعي في الرواية العربية، وتمتلك مقومات وسمات أدبية وفنية جعلتها علامة بارزة في النتاج الروائي العربي، ولا سيما أن مبدعها الحكيم امتلك تجربة فنية غنية ومتنوعة في المسرح والرواية والسيرة الذاتية، ولكن نتاجه السردي لم يحظَ بما حظي به المسرح من عناية الدارسين، وهذا ما حدا بنا إلى تسليط الضوء على دلالات المكان في هذه الرواية؛ لما يمثله المكان من أسٍّ مركزي ينظِّم حركة السرد ويشدُّ الأحداث، كما يمثِّل أحد أهم حوامل الرؤية السردية.

وسواء تم التعبير عن المكان بأنه فضاء، حيز، منطقة، فإننا يجب أن ننظر إليه بوصفه بؤرة مركزية في المتن السردي تشدُّ حركة السرد وتحتضن الأفعال والأحداث والمقولات المعرفية والسردية للشخصيات، وبذا يتحوَّل المكان من مجرد عنصر مُنفعِل بحركة السرد إلى عنصر فاعل ومكوِّن للرؤية السردية، فالمكان يحتوي الأشياء ويحويها، لكنه يستقل عنها، فإدراك الإنسان للمكان إدراك حسي، والحسية من سمات الصور الذهنية وهي صور و«مظاهر محسوسة تشير إلى أماكن أو مواقع لها خصائص عاطفية (حمودة، 18: 2006)»، بل إن المكان يغدو جوهراً يحدِّد ماهية الأشياء ويمنحها هويتها؛ لذا فإن الدفاع عنه هو دفاع عن الهوية والوجود بالدرجة الأولى.

والمكان - بما هو مكوِّن سردي - يلتصق بالموقف الرؤيوي الذي يريد الراوي أن يعرضه عبر جملة من الأفعال والمقولات السردية، وهذا ينسجم والعمق المعرفي الذي تعامل مع المكان بوصفه أداة من أدوات تطوير النسق الفني والتخييلي في آن معاً، فقد تجاوزت النسبية والفيزياء الحديثة المفاهيم الأرسطية والأفلاطونية للمكان؛ إذ منحت النظر العقلي والعملي حرية أكبر للتعامل معه، من حيث هو حيِّزٌ غير مطلق، وغير منفصل عن الزمان؛ ليصبح الزمان عنصراً من عناصر المكان، وبعداً متمماً لكينونته.

ينهض المكان الروائي على اللغة، فهو« مكوِّن لغوي تخييلي تصنعه اللغة الأدبية من ألفاظ لا من موجودات وصور (كاصد، 127: 2003)»؛ لذا فإن القيمة الكبرى التي تحوزها الأمكنة في السياق السردي لا تنطوي على كونها مساحات أو فضاء أو مسارح تضم الحدث، بل إنها فضلاً عن ذلك تشكل علامات لغوية تنطوي على دلالات جمالية وفنية تتصل بالمستوى الرؤيوي الذي ينطق به المتن السردي؛ لذا فإن بناء الأمكنة يتم بوساطة اللغة التي ترسم ملامحها وتمنحها وجودها ومقوماتها الخاصة.

وتكمن إشكالية هذا البحث في سعيه إلى تحليل المكان في رواية «يوميات نائب في الأرياف»، وتحليل علاقة المكان بالفضاء الاجتماعي وأثره في خلق الحدث السردي وبناء الرؤية وتقديمها، كما ينشد البحث دراسة أثر المكان في تشكيل لغةٍ خاصة به تنسجم والمرجعية الاجتماعية التي تعيش في إطارها الشخصيات، و يبحث دلالة أبعاد المكان وكيفية صياغته في المتن السردي.

وأما المنهج المتبع في هذا البحث، فهو منهج وصفي يقوم على أدوات من أهمها التحليل والمقارنة، كما يفيد من تقنيات تحليل الخطاب السردي مثل المكان، والشخصيات، والحدث...

اليوميات:

تطرح «يوميات» «الحكيم» مسألة الجنس الأدبي ومميزاته أو خصائصه. ودون أن نخوض في مشكلة هوية الأثر بين المذكرات والسيرة الذاتية والرّواية نقنع بهويتها الأدبية التي اختارها لها صاحبها. فما وجدناه في «اليوميات» من تواريخ محددة متعاقبة (من يوم 11 أكتوبر إلى يوم 22 منه) وما لمحناه من قرب واضح بين الحدث وصياغته بما يجعل النصّ أكثر عفوية في تسطير ما حدث، يجعل « اليوميات » يوميات أو مذكرات ويستبعد انتماءها للسيرة الذاتية، حيث المسافة الزمنية التي تفصل بين وقوع الحدث وتدوينه مما يتيح الاختصار وبعض التجاوز، ويمنح الكاتب الفرصة للتعمد والتخيّر وربّما التخيل.

وجدنا في مستهل طبعة مكتبة الآداب بالجماميز لسنة 1981 وتحت عنوان « كتب للمؤلف نشرت في لغة أجنبية أن « يوميات نائب في الأرياف » ترجمت ونشرت في الفرنسية أربع مرات في السنوات (1939 م و1942 م و1974 م و1978م) على التوالي. كما ترجمت ونشرت في الإنجليزية في دار (هارفيل) بلندن سنة 1947 م، كما ترجمت ونشرت في الإسبانية وفي السويدية وفي الألمانية.

واليوميات تقع في حوالي 167 صفحة من الحجم المتوسط في الطبعة المذكورة، وتمتد على مدى زمني يقدّر بأحد عشر يوما، من اليوم الحادي عشر من أكتوبر إلى الثاني والعشرين منه. والرّابط بين ما دوّنه صاحبها من أحداث قضية قتل (عادية) - كما يقول صاحب « اليوميات » نفسه - امتد البحث فيها طيلة عشرة أيام، وأبقى الراوي لنفسه اليوم الحادي عشر لموضوع خاص به وبمهنته.

مفهوم المكان:

المكان في لسان العرب: الموضع، وجمعه: أمكنة وأماكن. وفي مادة «كون» شرح وتفصيل أطال فيهما اللسان. (ينظر، ابن منظور، مادة كون2005)

للمكان منذ القدم مفاهيم متعددة، وينظر إليه من زوايا متعددة. فهو عند بعضهم «الإطار الذي تقع فيه الأحداث، وتتحرك فيه الشخصيات ويتعقبه الوصف (قاسم، 106: 2004)». والمكان عند الفلاسفة مبحث إشكالي، شغل حيزا غير قليل من فكرهم. فهو عند أفلاطون غير حقيقي، وهو مرتبط بعالم المثل، ومتغير في عالم الظواهر المحسوسة (محمد، 124 :1984)، أما في فلسفة (كانط)، فالمكان «مرتبط بالعقل، لأن الإنسان يخضع لتصور مسبق عن طبيعة المكان (بدوي، 240: 1984)».

ويرى إميل دوركايم أن المجتمع هو الذي يحدد مفهوم المكان «من خلال الوسائط الاجتماعية التي يحياها الفرد ليعي حقيقة ما حوله (إسماعيل، 55: د.ت)». وهذا الرأي ذو مردودية فكرية مهمة في مبحثنا، ذلك أنّ السؤال المُلِّح لمن يعبر نظره مساحات « اليوميات » وأمكنتها، وشحّ مصادر العيش فيها، وما يخترق نسيج المجتمع فيها من جريمة، يسيرة الارتكاب، يسيرة الطمس والإخفاء، هو: لِمَ الإصرار على هذه الحياة، بهذا النمط؟ والجواب دائما عند المجتمع الذي ما إن يتواضع على نظام من القيم، حتى يظل حبيسه لا يخترقه ولا ينحرف عنه أبداً.

وقد مال«حميد لحمداني »ومن نهج نهجه إلى استعمال مصطلح «الفضاء»، لأنه في نظرهم أشمل، إذ «يشير إلى المسرح الروائي بأكمله، والمكان يمكن أن يكون فقط متعلقًا بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي (لحميداني، 63: 1993)»، على حين استخدم عبد الملك مرتاض مصطلح «الحيز»؛ لأن الفضاء في ظنه لا بد «أن يكون معناه جاريًا في الخواء والفراغ، بينما الحيز ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن والثقل والشكل والحجم... على حين أن المكان نريد أن نوقفه في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده (مرتاض، 141: 1998)».

يظل المكان لدينا «أصل هذه المصطلحات وأقدمها وأكثرها انتشارًا واتساعًا، ويعد كيانًا إشكاليًا من حيث قابليته لزخم المسافة الهائلة القائمة بين أصغر مساحة يتخيلها الإنسان، وأقصى ما يمكن أن يكون عليه الكون العظيم، فالنقطة مكان، والكون نفسه مكان،

وجميع ما يقع بينهما على اختلاف الحجم والمسافة أمكنة (صالح، 70: 1997)».

كما يظلّ المكان معجما لسجلات لفظية تنتظم ضمن نظام لغوي خاص به، يدلّ عليه، ويعيّن مدلولاته من الأكثر تسطّحا إلى الأعمق دلالات ورؤى للكون والعالم.

لذلك نرى – فيما يبدو لنا – أنّ سبب اختلاف النقاد حول قيمة المكان مردّه هذه الخصوصية التي تلوّن الخطاب والتي منبعها الأساس هو المكان. ولذلك أيضا تعددت آراء الباحثين حول جدوى دراسة المكان، فبينما عده بعضهم عبئًا على الخطاب، وهو ما جعل « رولان بارت» يصف المكان بأنه ليس سوى الجزء الذي «يشغل الصفحات التي يمكن للقارئ أن يقفز عليها دون أن يسيء ذلك إلى الرواية (فاليط، 39: 1999)» فإن أكثر من باحث قد أنكر الرأي السابق؛ إذ لا يمثل المكان عنصرًا زائدًا في العمل الروائي، بل إنه أحد علامات الرواية الحديثة، إذ يتحكم في «الوظيفة الرمزية والحكائية، ويتضمن معاني عديدة في العمل الروائي، ويدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية كالسرد والشخصيات والأحداث (رشيد، 205: 1988)»، وبذلك استحال المكان معادلاً للحياة، أو صار يمثل بتعبير «جورج بيرك» ضربًا من علاقة الإنسان بالحياة فـ «أن تحيا هو أن تعبر من فضاء إلى آخر محاولاً أقصى ما يمكن ألا تتعثر (بيرك، 10: 2000)».

ونتيجة لأهمية المكان، وكونه يمثل «الخلفية الضرورية التي يصعب تخيل وقوع الأحداث بدونه (قاسم، 183: 2004)»، فقد غدت مقولة المكان «من الخطورة ما يجعلها موضوعا يتشعب إلى رؤى ذات طبيعة ميتافيزيقية بعدما كانت تدرك فقط في الحدود الجغرافية والاجتماعية والنفسية، وذلك أن المكان في صلته بالذات المبدعة والمتلقية يتخذ من الصفات المتشابكة ما يجعله من المقولات الأكثر تصعيدًا على مستوى المعنى والمبنى، وأن فك هذه العلاقات يقتضى من الدرس التحليلي أن يسترفد سائر المعارف التي أنتجتها العلوم الإنسانية لفك ألغازه (مؤنسي، 127: 2001)».

ثمّ إنّ للمكان عبقرية خاصة، أشار إليها « ميشال بوتور» في كتابه «عبقرية المكان»، كما ألمح إليها عبد «الملك مرتاض» بقوله: «إن الحيز هو الذي يجسد عبقرية الأديب (مرتاض، 160: 1998)».

ولا يمكن - بأيّ حال- أن نفترض وجود مكان واحد في الرواية؛ إذ إن «تنوع الأحداث وتطورها في الرواية يحتم تعددًا في الأمكنة واتساعها وتقلصها، ولهذا لا يمكننا أن نتحدث

عن مكان واحد في الرواية، بل إن صورة المكان الواحد تتنوع حسب زاوية النظر التي يلتقط منها (لحميداني، 63: 1993)». وتتنوّع كذلك بحسب الغاية التي يهدف إليها الخطاب، بل تتنوّع بحسب الجنس الأدبي الذي يصف المكان ويوظّفه. فالمكان في « اليوميات » مكان قبلي لا تخييلي، وجد قبل كتابتها ولا نخاله إلاّ بقي بعدها. وغاية الخطاب تدوينه بما فيه وعلى ما هو عليه، والتقاط جزئياته لارتباطها بطبيعة الخطاب التدوينية لا التخييلية، ولإنبائها عن « نائب لوكيل نيابة » متأثر – لا محالة – بدقة التحقيقات وشرائطها الدقيقة.

ومن ثم فمن الخطأ أن «يدخل المكان لذلك في القصص بوصفه انتشارًا مجردًا للأحداث وحركات الشخوص، بل بوصفه بطلاً من الأبطال، ومحورًا محركًا للشخوص والأحداث، فلم يعد أحجارًا وترابًا، إنه الكائن الذي نألفه ونحبه، ثم نشعر بالأسى لفقده (خليل، 243: 1997)».

ثم إنّه – المكان - اللغة والعلامات الدالّة التي وعن طريق لغة الخطاب الذي يرسمه نظفر من خلالها بمكامن الشخوص، وبمنطق الأحداث، لنكوّن حكما تفاعليا معها لما فيها من صدق أدبي.

وثمة فرق كبير بين المكان الواقعي كما في «اليوميات» والمكان الروائي، فالمكان في الرواية قائم في خيال المتلقي، وليس في العالم الخارجي، وهو مكان تستثيره اللغة، من خلال قدرتها على الإيحاء، ولذلك كان لابد من التمييز بين المكان في العالم الخارجي، والمكان في العالم الروائي (الفيصل، 251: 2003)؛ فإنَّ تشكُّل المكان في الرواية يخضع لرؤية الكاتب وموقفه ووجهة نظره التي يتم التعبير عنها بوساطة العناصر السردية المختلفة التي تدخل في بناء العالم الروائي.

لغة المكان ولغة الخطاب:

للمكان لغة، ولاسيما في ظل التواشج الذي تصدر عنه رؤية الحكيم، وبمجرد نطق الدالّ (الأرياف) تحظر في الذهن مدلولات عديدة بين الحاضرة والتحضر والريف والفطرة. ومن خلال نظرنا إلى المكان بوصفه أحد أهم مرتكزات البنية السردية سنحاول استقراء تعالقات المكان ببقية مكونات الخطاب السردي في هذه الرواية.

مكوِّنات العنوان:

يتكوّن العنوان من أربعة ألفاظ هي (يوميات) و(نائب) و(في) و(الأرياف).

وينظر «شعيب حليفي» إلى العنوان باعتباره «نصّا موازيا يفضي إلى النصّ المتن (حليفي، 82: 1992)». فهو «هوية» النصّ والمعرّف به واسمه المميز له، وهو بابه ومدخله، بل إنّه أحيانا ملخص له مبشّر بمحتواه ونوعه واتجاهه؛ لذا فإنّه يتكوّن من خمسة عناصر هي الفضائي والفاعل والزمني والحدثي والشيئي (حليفي، 168: 1992).

1. المكوّن الفضائي:

ورد لفظ « الأرياف »، بصيغة الجمع، وينطوي الجمع على دلالات تتصل بنزوع الراوي إلى جعل القرية التي تدور فيها الأحداث أيقونة تختصر الريف المصري كله، فما دوّنه لا يهمّ هذه القرية فحسب بل يتسع ليستغرق الأرياف المصرية جميعا، أو هذا ما يمدُّنا به العنوان في أقرب معانيه.

ثمّ إنّ وضع المفرد (نائب) بإزاء الجمع هو تعمّد للرمي بهذا الواحد الضئيل في فضاء جديد، مما يجعله فضاءً مفتوحاً أمام تفتُّق الدلالات وتمظهُرها. كما أنّ الأرياف بصيغة الجمع المعرّف يمنحها الإطلاق في الدلالة فكأنّها اسم جنس مطلق الدلالة على الريف المصري على الأقلّ. وما التنكير في (نائب) إلا حدٌّ وقيد: نائب واحد في أرياف معروفة. منذ العنوان نوضع تماما أمام ذاك التقابل الساخر بين المكان وحضرة (النائب). وهل ينتج السخرية أمر مثلما ينتجه التقابل بين المكان وما يحتويه؟. فالحمار مثلا مكوّن عادي طبيعي في الريف، ولكن لو تم نقله إلى مسرح بالمدينة أو ملعب كرة أو مدرسة...! وكذا لو نقل شباك تذاكر أو سيارة فخمة أو غيرهما إلى ريف بعيد لأثار الأمران استغراباً كبيراً.

2. المكوّن الفاعل:

هو النائب. بما له من هيبة وثقافة وطرق تفكير وعيش، وبما يعتمد عليه من قانون. وهو فرد في مقابل مكان متسع وخلق كثير. وقانونه سيطبق على من « لا يفكّ الخط». مرّة أخرى نجد أنفسنا بإزاء تقنية التقابل، بين القانون، بما هو منجز معرفي وعلمي وثقافي، وريف فيه الأمية أصل والقراءة والكتابة فرع، والجهل عام عارم، والبساطة كأنها بدء الخليقة. والنائب مضطرّ أن يطبق هذا القانون.

3. المكوّن الحدثي:

جريمـة، وهـي جريمـة الفطـرة، كمـا يقـول الحكيـم، لا جريمـة التحضـر. جريمـة الهـراوة والبندقيـة، جريمـة المواسـم الزراعيـة. والنائـب هـو الحـدث بعينـه، فهـو الأميـن علـى أرواح هـؤلاء المجرميـن بالفطـرة. وفعلـه الأسـاس تطبيـق القانـون، حيـث لا يمكـن اسـتيعاب فصولـه ولا أحكامـه.

4. المكوّن الزمني:

مصـر فـي الثلاثينـات، وأحـد عشـر يومـاً مـن شـهر أكتوبـر. فيهـا سـيقيم (حضـرة النائـب) العـدل والإنصـاف. وجريمـة تقيّـد فـي النهايـة ضـد مجهـول، وبسـرعة لأنّ زمـن العـام القضائـي قـد أشـرف علـى النهايـة.

5. المكوّن الشيئي:

ويدلنـا عليـه حـرف الجـر(فـي): فمـاذا سـنجد فـي الأريـاف مـن أشـياء تؤثّـث المـكان وتملؤه. وأي نظـام وذوق وثـراء وتحضُّـر فـي هـذه الأشـياء؟ ثـمّ أيّ وظيفـة للأشـياء فـي جريمـة – بـل جرائـم – يحقـق فيهـا (حضـرة النائـب)؟

الغايـة إذن أنّ العنـوان يربـط فيمـا يربـط النـصّ بمكانـه فـي مكوّناتـه الخمسـة، ويستشـرف الحـدث، فالعنـوان يحمـل اسـم البطـل أو صاحـب اليوميـات ويحمـل اسـم مكانهـا وطبيعـة الأحـداث بوصفهـا يوميـات، ويحمـل وجهـة النظـر للأحـداث والشـخوص والمـكان والزمـان.

أنواع المكان في اليوميات:

المـكان فـي اليوميـات مكانـان: محتـوٍ ومحتـوَى: مـن مصـر إلـى أريافهـا إلـى إحـدى قراهـا ومـا فيهـا مـن بيـوت ومنشـآت حكوميـة وصـولا إلـى الأدوات كالسـيارات وغيرهـا والكنبـات والكراسـي والمكاتـب والخزانـات حتـى نصـل إلـى الهـراوة والبندقيـة والـكأس والقلـم والـورق...

وليسـهل حصـر الأماكـن ولـو جزئيـا يمكـن تتبّعهـا بتقسـيمها إلـى أماكـن داخليـة وأخـرى خارجيـة كمـا يأتـي:

1. المكان الخارجي، المحتوِي:

لـم يذكـر صاحـب اليوميـات اسـم القريـة إلاّ فـي آخـر اليوميـات علـى لسـان زميلـه الـذي جلـب لـه ملفـات القضايـا ليسـاعده فـي النظـر فيهـا، إذا قـال: لعنـة الله علـى دي بلـد! أنـا أراهـن أن تسـعة أعشـار أهالـي ديـروط لـو تكشـف رؤوسـهم تلقـى معمـول لهـم جميعـا عمليـات « طربنـة » مـن ضربهـم فـي بعـض بالنبابيـت بالرغـم مـن أنّـه قـد أشـار فـي مواضـع غيـر قليلـة إلـى تلـك البيئـة الريفيـة التـي تقـع فـي الوجـه القبلـي مـن مصـر. وذلـك مـا يجعلنـا بـإزاء «مـكان» ريفـي يحمـل كل مـا للمـكان فـي الريـف مـن خصوصيـة.

وككلّ مـكان متّسـع تتباعـد فيـه المسـافات، وتتنقّـل فيـه الشـخصيات وتمتـدّ أبعـاده فـي الجغرافيـا كمـا فـي الخطـاب اليومياتـي، فقـد تعـددت الأماكـن الخارجيـة فـي «اليوميـات » واتسـعت وضاقـت بحسـب تكوينهـا وطبيعتهـا، حتّـى لأمكـن تقسـيمها إلـى أماكـن مفتوحـة وأماكـن مغلقـة.

الأماكن المغلقة:

فـي « اليوميـات» عـدد لا يسـتهان بـه مـن الأماكـن المغلقـة نسـتطيع مـن خـلال النظـر فـي مجموعهـا أن نكـوّن رؤيـة شـاملة عـن بيئـة الصعيـد المصـري ومـا لهـا مـن أثـر فاعـل فـي الحـدث والشـخوص علـى وجـه الخصـوص ومنهـا:

/ القطـار/ دار المركـز/ أودة التبـن/ بوفيـه المحطـة/ سـجن المركـز/ مخـزن النيابـة/ - غرفـة النائـب/ المستشـفى / غرفـة التشـريح/ الصيدليـة / البيـوت والمكاتـب (ينظـر، الحكيـم، ص 43 - 46 - 47 - 78 - 83 - 112 - 168: 1988).

الأماكن المفتوحة:

أمـا الأماكـن المفتوحـة فقـد ذكـر منهـا محيط الأحـداث، وخصوصـا مـا كان له صلـة بالجريمة. ومـع ذلـك فـإنّ صاحـب « اليوميـات » لـم يجـد – لعفوية « اليوميـات»، ولقرب زمـن وقوع الحدث مـن لحظـة تدوينـه – بـدّا مـن ربـط كلّ هذه الأماكـن بأماكن أخرى أكثر اتسـاعا وأبعـد عن الأحداث والفعـل، مـن ذلـك القاضـي الزائر القاهري سـريع الذهـاب بالقطار، وخاطب الضحيـة «ريم» الذي أتـى مـن قريـة مجـاورة، وأحـد العمد القـادم – متصحر الفكر والقـول والفهم - مـن أقاصـي الصعيد، مـن حـوافّ الصحـراء. وهـذا الرّبـط هـو الـذي منـح «اليوميـات» فـي قريـة «ديـروط» ذلـك البعـد النموذجـي للريـف المصري. ومن الأماكـن المفتوحة:

الجسر/ داير الناحية/ الطريق الزراعية/ الغيط/ المزارع/ الترعة/ قناة الماء/ مزارع القصب/ المصرف/ الجبل/ المقابر/ ديروط/ أبنوب/ طنطا/ القاهرة، (ينظر، الحكيم، ص 12 - 14 - 15 - 18 - 30 - 43 - 85 - 141 - 143: 1988).

ومع ذلك فإنّ خصوصية « اليوميات » تكمن أساسا فيما تتيحه من فرصة التفصيل والتدقيق في وصف المكان؛ لذلك فجزئيات المكان دوالّ فصيحة تنضح بمعنى الحياة فيه صعوبة ويسرا، ثقافة وجهلا، ولعل أبرز آثار البيئة يتمثل في ارتباط الجرائم بها، ونموّها فيها، وتغلغلها في حناياها. فقد أكد الراوي أنّ قرية « أبنوب » تأتي في مرتبة ثانية بعد « شيكاغو» فيقول في وصف مكان الجريمة: «وهو طريق ضيق بين مزارع قصب على الجانبين، ولا عجب فإن لكل نوع من الزرع محصوله من الجرائم فمع ارتفاع الذرة والقصب يبدأ موسم القتل بالعيار، ومع اصفرار القمح والشعير يبدأ الحريق بالجاز والقوالح، ومع اخضرار القطن يكثر التقليع والإتلاف الحكيم،18: 1988)».

فالمكان الخارجيّ المحتوِي العام يحيط « اليوميات » بأسوار من الدلالة على حياة الفطرة والعوز والريفية، فتصبح الأماكن معبّرة ودالة على ما يقع فيها وعليها من أحداث، وعلى من يتحرّك فيها ويمشي عليها من شخصيات. فما تختلف لغة الحاضرة عن لغة الريف إلاّ لأنها تعبّر عن حياة في الحاضرة تختلف عن حياة في البداوة. لذلك فإننا مثلا لم نجد أهل الحاضرة إلاّ متذمرين من الريف بالرغم من أنّهم يقرّون بفضله ومزاياه وإن قلت وندرت. ومثال ذلك القاضي الزائر المتعجّل دوما فهو وإن كان يستعدّ للرحيل منذ الوصول، فإنّه يحرص على أن يأخذ معه اللحم والبيض والجبن... أكثر من حرصه على البتّ في قضايا القرية.

2. المكان الداخلي، المحتوَى:

يقوم منهج ترتيب الأماكن على مبدأ الاحتواء أساساً، فمصر تحتوي الأرياف، والأرياف تحتوي قرية « ديروط »، والقرية تحتوي ما تحتويه من ترع ومستشفى ومحكمة وصيدلية وبيوت... وكل مكان من هذه يحتوي أماكن أخرى أكثر ضيقا وأصغر حجما مثل الغرف وما فيها من أثاث... حتى نصل إلى الأشياء والأدوات وما تحويه بدورها، من مثل البندقية التي تحتوي ماسورة تحتوي بدورها رصاصا، والمائدة التي عليها صحون تحتوي طعاما فيه كذا وكذا...

لذلك فإنّ أبعاد المكان وحجمه، «لا توجد منفصلة عن الإنسان، فهو يصنعها ويبتاعها، ويحركها ويجعلها ترسم جغرافية أمكنته (الضبع، 97: 1998)» ومن ثم فإنها تصبح بالنسبة إلى لإنسان «مجرد مرايا تعكس له صورته إلى مالا نهاية (الضبع، 100: 1998)».

لكنّ الأشياء وترتيبها في المكان «لم تتولد من حدوث حركات بيولوجية، وإنما من حركات بشرية في تجاوزها لأمكنة متداخلة، فهي تنتقل من حيز إلى آخر سعياً لوظيفة تقوم بها تماماً مثل انتقال الأشياء من حيز المكان المتضمن إلى المكان المتخيل، لتكون لصيقة بالإنسان معبرة عنه (الضبع، 97: 1998)».

لذلك نرصد في «اليوميات» معجما للأشياء والأدوات في البيئة الريفية بدءا من الأثاث والملابس وحيوانات البيئة ومفرداتها المتعلقة بالزراعة، وانتهاء بأصغر الأدوات من مثل القلم والدواة والكوب المكسور ومصيدة الفئران... حتى أنّه ليمكن تصنيفها على هذا النحو:

الأثاث: صنوف عديدة من الأثاث الموجود في الريف من مثل:

الكنبة/ مصايد الفيران/ مصباح النفط/ السرير/ المخدة /فرش القطيفة / الرخامة المكسورة / كرسي قش / المقاعد / الدكك / وابور غاز/ القلة الفخار/ الناموسية / الخشب الأبيض المسوس (ينظر، الحكيم، ص: 21 - 19 - 21 - 31 - 36 - 65 - 72 - 100: 1988).

الأطعمة: الخراف/ الوز/ الديوك/ الزغاليل المدفونة في الرز/ الفطير المشلتت/ اللحم المشفى.(ينظر، الحكيم، ص31 - 34 - 44 - 46: 1988).

الملابس: الدفية/ الجلباب/ السروال الأبيض/ التكة/ البلغة/ اللبدة/ الملس/ اللباس الأسود/ زرقة شال/ عمامة زاهرة/ عباءة جوخ/ حذاء لستيك / الزعابيط / الكفن. (ينظر، الحكيم، ص: 17 - 32 - 74: 1988).

الحيوانات:الضفادع/ الخيل/ الحمير/ الجحش/ الخراف/ الديوك/ الكلب/ المواشي/ الجاموس الأبيض/ الحصان/ الثعلب.(ينظر، الحكيم، ص: 15 - 16 - 17 - 27 - 31 - 44 - 56 - 59: 1988).

هذه السجلات الدلالية إنّما تكتسب دلالاتها المعمقة من ارتباطها بمكان مخصوص هو الأرياف. لا نقصد بذلك أن بعض هذه الدوالّ – التسميات – قد لا يكون مستجلبا دخيلا، أو قد لا يكون مستخدما في غير « ديروط »، ولكنّها تكتسب في ارتباطها بهذا المكان دلالة

تُعيّنها وتميزها وتمنحها ذلك النسق الذي يشير إلى مدى ارتباطه بالمكان وما يشي به من تفاوت طبقي، وتراتبية اجتماعية، فالتعامل مع المكان على مستوى الأشياء يختلف من صنف إلى صنف، ومن « طبقة » إلى أخرى. يصور صاحب « اليوميات » ملابس أحد الأثرياء فيقول: (الحكيم،17: 1988) « يبدو من زرقة(شال) عمامته المزهرة، ومن جلبابه الكشمير وعباءته الجوخ الأمبريال وحذائه اللستيك الفاقع في صفرته أنه على جانب من اليسار واستواء الحال (الحكيم، 17: 1988)».

كما يصف ملابس الفقراء أو عموم الناس بقوله: (الحكيم، 18: 1988) الدفية والجلباب الغزلي والبلغة واللبدة والسروال الأبيض ذو التكة الحمراء..

نلاحظ أنّ التسميات إنّما هي مفردات نابتة في أرض هذه البيئة الريفية، نقصد بذلك أنّ هذه المسميات لا تفهم حق الفهم إلاّ في هذه البيئة، أي إن المكان يشكّل لغته الخاصة به، أو التي يتميّز بها عن غيره. فنحن بإزاء معجم متفرّد له مفردات تخصه لها مدلولات مرتبطة به.

من هذه الزاوية، وفي هذا المستوى من البحث في أنواع المكان، نخرج بقيمتين للمكان في « اليوميات»: أولهما أنَّ للمكان لغته الخاصة لا في مجرد اللفظ فحسب، بل في مستوى الخطاب بما هو نسق تواصل لكلّ دال فيه مدلول يكتسبه من محيطه وبيئته، وثانيهما أنَّ للمكان في «اليوميات» مكانة متميزة، فهو مصدر الاندهاش والإدهاش، بل لعلّ النصَّ بما هو كيان لغوي بالأساس يكتسب البعض من قيمته من خصوصية المكان ومحلّيته، فتصهر لغته في لغة ناقله وواصفه، ليكتسب الخطاب لغة متميزة في «يوميات نائب في الأرياف» لفظا وصوغا وتركيبا.

الأبعاد الدلالية في لغة المكان:

المكان ليس معطىً متحجَّرا مقصوداً لذاته مقحماً في الخطاب إقحاماً. بل له مردود دلاليّ في الخطاب؛ لذا فإنّ دراسة أبعاد المكان في « اليوميات » تصبح أمراً ضرورياً يمنح الباحث فرصة للوقوف على ما لهذه الأبعاد من إسهام في أدبية «اليوميات» وثرائها.

1. البعد الاجتماعي:

الإنسان - كما وصفه ابن خلدون- كائن مدني بالطبع، ومن ثم فـ «المكان بوصفه حيزًا صالحًا للحياة فيه، يكون أساسًا ولبنة أولى لإقامة المجتمعات البشرية التي تخلق في

مكان يصلح لاستمرار حياتها، ويهيئ لها سبل المعيشة، ومن ثم التحضر والمدنية، وهذه المجتمعات في تناميها تضع القوانين المنظمة ويكون لها عاداتها وتقاليدها ولغتها وسمات أهلها، وبذلك يكون لها كبير الأثر في أفرادها ومن ينضمون إليها من مجتمعات أخرى (الضبع، 130: 1998)».

ولكل مكان بعد اجتماعي لا يمكن تجاهله؛ إذ «يجعل من المساحة الكونية للمكان مساحة بشرية محددة بسمات اجتماعية تجعل لها بحق شخصية اجتماعية لها ملامحها المميزة والفارقة عن غيرها(الضبع، 130: 1998)

ويمثل المكان مسرحًا اجتماعيًا لعلاقة الإنسان بمجتمعه، إذ من خلاله «يصبح الفرد/ الجماعة عاكسًا لطبيعة المجتمع بوصفه صانعًا لأفراده، داخلاً في مقوماتهم الشخصية إلى الدرجة التي يكون للمجتمع أثره على البعد الجسماني لهؤلاء الأفراد (الضبع، 131: 1998)

وتعد العادات والتقاليد التي يفرزها المكان أهم قوانينه التي تحكم علاقته بالشخصيات والأحداث من ناحية، ودوره في بناء الرؤية وبلورتها من ناحية ثانية.

ونرى أنَّ هذه القوانين المتواضع عليها تصاغ في لغة تصطبغ بدورها بالمكان في بعدها الاجتماعي المدني، ومثال ذلك أناشيد « الشيخ عصفور » التي لا تمثل فنّا مطلق الدلالة - ولو أنّها قد تكون كذلك ما التصقت بجوهر الإنسان – كثيرا ما تحمل موقفا حينيا؛ لذلك تبدو عادة الإنشاد مقبولة في مواقف الحزن ومواقف الفرح على السواء، تستمدّ مشروعية حضورها لا من كون «الشيخ عصفور» إمّعة لا تقيده ضوابط العادات والتقاليد، بل من مضمونها الذي يصوغ رأيا في قالب فني مهما كان بسيطا فهو رأي يُسمع، وكثيرا ما انتبه إليه النائب المحقق.

العادات والتقاليد:

العادات والتقاليد «طقوس مكانية تراها في مكان ولا تراها في مكان آخر وقد تتوهم أن هناك تشابهًا أو تكرارًا لعادة واحدة في مكانين، ولكن النظر العميق المدقق لهذه العادة يكشف عن اختلافها في المضمون الاجتماعي والقيمي(الضبع، 131: 1998).

وربّما لذلك، نجد في «يوميات نائب في الأرياف» حشداً هائلاً من العادات والتقاليد التي تنضح بأثر المكان فيها.

كما أنّ السبب في ذلك قد يكون في أنّ هذه العادات والتقاليد والأعراف هي دستور هذه القرية ومجمع قوانينها. فقانون «المركز» لا يطبّق تلقائيا لأنّه لا يناسب تلك الحياة ولا تلك العقول ولا تلك الثقافة، بله إنه لا يفهم أصلاً، فضلاً عن كونه لا يستساغ، فعقوبة بغرامة « ثقيلة » سببها غسل الثياب في الترعة، أو ذبح خروف خارج السلخانة، وهذا مما لا تفهمه تلك العقول ولا تستسيغه وتراه ظلما لا قانونا عادلا، وما ذاك إلاّ سبب من أسباب نفورهم إلى نسق من العادات والتقاليد يحتكمون إليها. وينطبق ذلك تماما على ما نسعى لإثباته في هذا البحث من أنّ للمكان لغته الخاصة به، فعندما لا يستطيع المتكلّم أن يجد في لغة القانون ما يعبّر عن تجربته البشرية ينفر إلى لهجة عامية محلية تستجيب لبيئته وحاجاته التعبيرية، فإذا بنا بإزاء «لغة» قروية «ديروطية» لها نظمها ودلالاتها ومعجمها مهما كانت بسيطة. «لغة» تنبع من المكان وتشف عن طبيعته، الأمر الذي لم يكن ليتأتى إلا بنوع من الملاحظة الدقيقة من قبل الكاتب، وقد أتيح له ذلك من خلال معايشته تلك العادات وتعامله المباشر معها بسبب عمله في النيابة في مجتمع يحفل بالجرائم ويشكو الناس فيه بعضهم البعض لأتفه الأسباب، حتى إنك لتجد قضية بسبب امرأة عضت رجلا، أو فلاح سرق حزمة تبن.

ويمكن أن نقوم برصد تلك العادات والتقاليد التي أفرزها المكان كما يأتي:

الجريمة الفطرية:

ليس من العسير أن نلاحظ مع صاحب « اليوميات » ارتفاع معدل الجريمة في الريف، حتى إنه عندما ذكرت أمامه إحدى قرى الصعيد وهي قرية «أبنوب »قال: «ذكرتني بشيء قرأته عن هذه البلدة: إحصائية صدرت في أوربا وأمريكا (لست أذكر على التحقيق) غرضها بيان الإجرام في العالم، ورد فيها أن شيكاجو أكثر بلاد العالم في عدد جرائمها، تليها مباشرة أبنوب، وبعدهما مباشرة بقية مدن العالم، وقد حسبت وقتها أن أبنوب هذه مدينة في أمريكا لولا ملحوظة على هامش الإحصائية (الحكيم، 142: 1988)»

وفي تعليقه على الإحصاء السابق يفرق بين الجريمة في الريف وبينها في بقية المدن قائلاً: «هنا الجريمة الفطرية تخرج متدثرة في عباءتها حاملة هراوتها أو فأسها أو بندقيتها لتسفك دم رجل ضعيف انتقاماً لعرض أهين في نظر العادات والتقاليد، هنالك الثروة والمال، هذا هو الفرق بين الحضارة والفطرة(الحكيم، 143: 1988)».

فالجريمة « لغة » معبّرة في حدّ ذاتها تعبّر عن طبيعة المكان الذي تحدث فيه، وما أزمنتها وأدواتها من هراوة وفأس و « نبوت » أو مسدس وسيارة ورشاش إلا مفرداتها التي تكوّن معجمها في نظام محدد مسبق هو الخطط التي توضع طبق المواسم الزراعية والظلام وغير ذلك من لوازم الجريمة.

ويحرص صاحب «اليوميات» على بيان طبيعة الجرائم التي ينتجها المكان، إذ تمثل جريمة الثأر الحدث الرئيس الذي تدور حوله قصة « اليوميات » وهو جريمة « قتل قمر الدولة»، تلك الجريمة التي تفرعت عنها جرائم أخرى أو تسببت في الكشف عنها، لكن قضية الثأر لم تكن وحدها الجريمة المسيطرة على القرى. فثمة جرائم أخرى تبدو على قدر كبير من البساطة من مثل غسل الملابس في الترعة وعض امرأة إصبع جارها وذبح خروف خارج السلخانة، وهي على بساطتها نتاج طبيعي للنسق الذي يعيشه الناس بفعل المكان، فهم بعيدون كل البعد عن الحضارة والمدنية، ويكفي أن نقرأ الحوار الذي دار بين القاضي وأحد المتهمين في جريمة من تلك الجرائم:

- أنت يا رجل خالفت لائحة السلخانة بأن أجريت ذبح خروف خارج السلخانة.
- يا سيدي القاضي الخروف...ذبحناه ولا مؤاخذة في ساعة حظ عقبال عندك بمناسبة طهور الولد. (الحكيم، 31: 1988)».

ومثله حديث آخر مع أحد المتهمين في جريمة أخرى، فقد قال له القاضي: «أنت يا رجل متهم بأنك غسلت ملابسك في الترعة.

- يا سعادة القاضي ربنا يعلى مراتبك بتحكم على بغرامة لأني غسلت ملابسك.
- لأنك غسلتها في الترعة.
- وأغسلها فين؟

فتردد القاضي وتفكر ولم يستطع جواباً (الحكيم، 33: 1988)»

ونحن هنا إزاء هذا المقطع السردي أمام ثلاثة مستويات من اللغات: (لغة القانون)، ولغة المتهم، ولغة القضاء، ولعل النسق الرؤيوي الذي تصدر عنه الحكاية يتكئ على الأسلوب الساخر، وما السخرية إلا مقدار من الإضحاك يضاف إليه مقدار من النّقد. وتنجح

السخرية في أداء وظيفتها إذا نجح الخطاب في تنسيب المقادير وإحكام إنضاجها وصهرها في خطاب أدبي فني منسجم والرؤية التي يصدر عنها الخطاب السردي.

تقاليد الزواج في القرية:

ليس من العسير أن نلاحظ أنّ للزواج في القرية تقاليد خاصة حرص سيادة النائب على تفصيل القول فيها، ومن أهم هذه التفاصيل حرص أهل العروس على المغالاة في المهور رغبة في التباهي. فكلما ارتفع المهر ارتفع شأن العروس. ولكن تبقى هذه المهور، بما هي علامات تدلّ على مدى رفعة شأن الأسرة، مرتبطة بمعنى الثراء ومداه في القرية. وهذا ما نقصده بأنّ العلامة في اللغة إنّما هي علامة تكتسب معناها من محيطها لا مطلقا وعموما. من ذلك مثلا أنّ «فتاة تدعى «ست أبوها» خطبها فلاح يدعى «السيد حريشة» وعرض مهراً قدره خمسة عشر بنتو، فلم تقبل أمها بغير العشرين ووقف الأمر عند هذا الحد(الحكيم، 35: 1988).

فالعملة (البنتو)، وأن تطلب الأمّ مهرا محددا وتصرّ على ذلك استجابة للتقاليد، فهي دوالّ تؤسس لتقاليد تظهر في لغة تنبع من مكان مخصوص، ويشمل ذلك أسماء الأشخاص الشخوص في حدّ ذاتها. فكلّها علامات تسعى لتأصيل المنطوق في بيئته.

كما أن من تقاليد قراءة الفاتحة أن يذبح أهل العروس إوزة لأهل العريس فقد « حدد يوم لقراءة الفاتحة في بيت العروس، وانتدب الخاطب » الشيخ عمارة و«الشيخ فرج» ليكونا شاهدين وتقابل الجميع وذبح والد البنت إوزة (الحكيم، 35: 1988)».

لا شكّ في أنّ للإوزة شأنا وأيّ شأن، فذبحها في هذا المقام دليل على أنها دليل تشريف وإكبار. لذلك فلغة العادات والتقاليد أكثر اللغات محلية، ذلك أنّها الجزء الأهم من «دستور» هذه المجتمعات التي مهما انفتحت على المركز أو على ما جاورها من قرى تبقى رهينة ما تمّ التواضع عليه من إرث وتقاليد اجتماعية.

بل إنّ أوجها غير قليلة من هذا « الدستور » المغلق، قد يرقى لحرص العاملين به عليه إلى مستوى الطقوس في الممارسة. من ذلك أحد طقوس الزواج وهو الموكب الذي تخرج فيه العروس من بيت أبيها، فله شروط وخطوات ومظاهر يجب أن تحترم تماما: «تم الزواج بين الطرفين آخر الأمر وبعث الزوج بعض أهله ومعهم جمل لاستلام العروس من بيت أبيها فقابلهم الأب صارخاً في وجوههم «جمل» بقى بنتي تخرج على

جمل أبداً لا بد من «الكومبيل»، وبعد خلاف ومعركة سالت فيها بعض دماء «انتهي الأمر بأن أخرج أحد الساعين في الخير ريالاً من جيبه واستأجر سيارة من تلك السيارات التي تمر بالطرق الزراعية(الحكيم، 36: 1988)».

وطبيعيّ جدا أن تسيل الدّماء في حفل زواج، طبيعيّ بمعنى أنّ الأمر ليس مستغربا ولا يثير دهشة إلاّ عند صاحب اليوميات. ربّما لأنّ ذلك مرتبط بالسياق الاجتماعي الفطري إذ لم تفسد المعركة وسيل الدماء سير الزواج وتمامه؛ لذا فهي تشي بما تمثله هذه العادات من دلالات على ضروب من الرجولة والثبات على الطلب.

إنّ العادات والتقاليد بما هي « دستور » صغير ينظم حياة المجتمع تصبح علامة دالة على «ثقافة» العاملين بها. وإنّما حامل تلك الثقافة هو اللغة.

زفة تليفون العمدة:

مشهد يخصّ القرية، فالتلفون رمز العمودية، والعمودية سلطة ووجاهة، وقد وضّحت ذلك المشاجرة بين زوجة العمدة وزوجة المأمور.

العمدة منصب في القرية ذو خصوصية ونفوذ، فهو ملك القرية وحلقة الوصل بين أهل القرية والسلطة الرسمية للدولة ممثلة في المركز، ولها ينقل ما يشاء، فيرفع شأن من يشاء وينزل، ويورّط من يشاء وينقذ. وعادة ما كان يتنازع هذا المركز عائلتان أو ثلاث من كبار عائلات القرية.

وكان من تقاليد انتقال «العمودية » من العمدة القديم إلى الجديد نتيجة وفاته أو عزله انتقال «التلفون الميري» إذ لم يكن في القرية سوى جهاز تلفون واحد في بيت العمدة، فيصبح التلفون رمزا وعلما وراية يحمل في أزراره ذلك البعد الاجتماعي الكبير للوجاهة والنفوذ؛ لذا نجد القاضي يصوّر مراسم انتقال التلفون من بيت العمدة القديم إلى بيت العمدة الجديد بحرص واندهاش ودقة فيقول: «وركبنا السيارة عائدين، ومررنا في طريقنا بالقرية، فإذا أصوات حزن وولولة نساء ترتفع من دوار العمدة فقلت وأنا أوقف السائق بإشارة: العمدة مات؟.

وينتقل الراوي من مكان ثابت (بيت العمدة) إلى متحرك؛ إذ يصف القاضي جولته في القرية : «أطللت من نافذة السيارة، فإذا أنا أمام منظر لم أفهمه أول الأمر ورأيت شيخ الخفر ووكيله وبعض الخفراء يحملون شيئاً في أيديهم ومن حولهم جموع الرجال والنساء

والصبيان يهللون ويكبرون والنساء يزغردن كما يفعلن في الأفراح وفي أيديهن الدفوف يضربن عليها، وتأملت جيداً ما يحملونه، وتأمل معي الطبيب الشرعي دهشاً فرأينا آلة تليفون حكومية من طراز تليفونات المراكز فصاح الطبيب في عجب: التليفون له زفة كأنها زفة عروسة(الحكيم، 90: 1988)».

الطريف في المشهد أمران: دهشة صاحب « اليوميات » والتقابل بين مظاهر الفرح ومظاهر الحزن. فالدهشة علامة تجعل عين مدون «اليوميات» تبيّن لنا أنّها غريبة عن المكان وعن مفاهيمه ورؤاه. والتقابل ينزع من الفرح والحزن ومن علامات الولولة والزغاريد معانيها المعروفة المألوفة ليحول وجهة الدلالة إلى موقف «سياسي» في وجه من وجوهه. ففي هذا المكان تصبح الزغاريد والولولة لغة السياسة، ووسائل إعلامها المروجة للخبر من وجهيه: نهاية عهد وبداية عهد، زوال من السلطة وإمساك بها.

ولعلّ ذلك ما جعل مدوّن اليوميات يعلّق على الحدث السابق قائلاً: «إنه مظهر السلطة والجاه وأداة الاتصال بالحكومة وخلعه من دوار العمدة المخلوع إنما هو رمز زوال السلطة، وأن هذا العويل المرتفع من دوار العمدة القديم، هذا البكاء الذي يشيع به التليفون الخارج من منزله لدليل على فداحة المصيبة(الحكيم، 90: 1988)».

فاللغة التي تناولت الحدث عند الأهالي لغة زغاريد وولولة، ولكنّها مع صاحب «اليوميات» ظهر تعقّلها بمرجعيتها المدنية الثقافية في محاولة تفسير ما يحدث. هنا الفرق بين لغة الفطرة والانفعال المباشر وبين لغة الرصانة والتدوين العاقل لما يدوّن. والفرق بين اللغتين واضح بيّن. دوالّ صوتية (ولولة وزغاريد) تسمع فتوصف لأنها تستعصي على الكتابة، ودوالّ كلامية تكتب حروفاً وألفاظاً في انتظام تركيبي معروف. فكأنّما الفطرة لامست اللغة فبقيت الدّوال أصواتا لا حروفا وكلمات.

وتتعدّد هذه العلامات الدالّة التي ينطق بها المكان في «لغة» محلية. ومنها عادات وتقاليد تكشف عما تنضح به «اليوميات» من أثر المكان مثل: « عادة الوشم» التي لم تكن مقصورة على النساء بل تعدتها إلى الرجال أيضاً، ووجود بعض المهن كالداية وحلاق الصحة و«اللحاد» وظاهرة الأمية، ووصف سوق الخميس، وانتشار بعض أماكن اللهو كالقهوة التي يلعب فيها القمار والطاولة، وبيت العمدة الذي صار مركزاً للتحقيق مع المتهمين وسط الولائم التي يعدها العمدة للمأمور من الخراف والبط والفطير والقشطة وظاهرة الردح بين النساء وتجمعهن للولولة والصياح في أية مناسبة. ولا يخفى أنّ كلّ ما

سبق علامات دالّة على المكان تمثّل جزءا هامّا من لغته، فالوشم والداية والولائم واللحاد وسوق الخميس... معجم لمفرداته دلالة تميز هذه المجموعة البشرية وطبيعة اجتماعها.

ثمّ إنّ العادات والتقاليد في المجتمعات البدوية والريفية سلطة معنوية لها قوة القانون، إذ تمثل لدى المنتسبين إليها «قانون المكان الذي لابد للفرد أن ينضوي تحته مادام يعيش فيه، والعالم كما يراه جارودى »ما هو إلا مجموعات العادات التي كونها الإنسان في العالم، وهو يحدد كلمة العادة مرجعًا إياها إلى النص اللاتيني بمعنى التملك والتمسك، والعادة تعنى ما أمسك به أنا ولا يمسك بي (الحكيم، ص: 8 - 19 - 40 - 77 - 81 - 93: 1988).

2. البعد النفسى:

منذ فرديناند دوسوسير وقوام تعريف اللغة، التواصل. وقناة التواصل بين المرسل والمرسل إليه هي اللغة التي يفهمها كلّ منهما؛ لذلك فإنّ هذه اللغة لها عناصر تؤدي وظائف حددها رومان جاكبسون فرأى أنّها ستة عناصر تؤدي ست وظائف وهي: المرسل ووظيفته انفعالية، والمرسل إليه ووظيفته تأثرية، والرسالة ووظيفتها الجمالية، والمرجع ووظيفته المرجعية، والقناة ووظيفتها حفاظية، واللغة ووظيفتها وصفية وتفسيرية.

ويشغلنا في هذا المجال ما يكون للمرسل من بعد انفعالي تعبيري. فالوظيفة الانفعالية التعبيرية هي التي تحدد العلاقة القائمة بين المرسل والرسالة في حدّ ذاتها. ذلك أنّ الخطاب يحمل بالضرورة انفعالات صاحبه ومشاعره وأحاسيسه ومواقفه، والبعد النفسي أو الانفعالي هو « ذلك البعد العاكس لما يثيره المكان من انفعال إيجابي أو سلبي في نفس الحالّ فيه (الضبع، 109، 1998)». وقد شغل علماء النفس بيانُ الأثر النفسي للمكان، حتى غدا المكان عندهم أيقونة نفسية تتجلّى من خلاله «جملة من الأحاسيس والمشاعر التي ربما أثارها المكان بمحمولاته التذكرية التي لها صلة بالذات في لحظة من لحظاتها السالفة... فليس القصد من وراء عرضه موضوعًا جماليًا، بل الغرض في اعتباره محمولاً يمكن الذات من التقاط المشاعر والأحاسيس مما يفيض عن المكان (مؤنسي، 127 - 128: 2001)».

ولعل أول مظهر يتجلى فيه البعد النفسي الانفعالي للمكان، ذلك الريف الموحش في نظر أهل المدن. فالهدوء وحشة، والخلاء قفر بائس، والاتساع ضرب من الموات يبعث على الكآبة والتبرّم والشكوى والضيق. فهذا المكان الموات لا يقارن بالحياة الصاخبة المليئة بصنوف اللهو والمتع والحياة والحركة والأصوات وحتى الألوان. فاللون الواحد

القاتـم المغبـرّ، والصمـت الرهيـب إلا مـن أصـوات تزيـد المـكان وحشـة وتوحشـا، والقفـر والخـلاء إلاّ ممـا لا يعـد عمرانـا إلاّ علـى سـبيل المجـاز والتجـوّز، كلّ ذلـك جعـل صاحـب اليوميـات يصـف حـال مسـاعده، وحالـه فـي لغـة متبرّمـة، هـي لغـة المـكان ولغـة مـن أثّـر فيـه حتـى حـرّك فيـه التبـرّم والضيـق، فيقـول: «والتفـت إلـى مسـاعدي فأقبـل علـي يحدثنـي كمـن يتحـدث لمجـرد الحديـث، وكأنـي بـه جوعـان كلام، إن الوحـدة كادت تقتلـه أثنـاء غيبتـي عنـه، لقد سئم الريـف إنـه لا يجـد هنـا قهـوة واحـدة يليـق أن يدخلهـا مثلـه، اللهـم إلا دكان ذلـك البـدال الرومـي «طنـاش» وضعـت أمامـه مائدتـان مـن الخشـب وكرسـيان مـن القـش وقـد أطلـق عليـه الأهالـي اسـم الخمـارة وحتـى هـذا الرومـي قـد ارتـدى جلبابـاً كجلبـاب الفلاحيـن فلـم يعـد شـيء ينـم علـى أنـه إفرنجـي غيـر لـون الشـعر والعينيـن، أيـن يتنـزه؟ أيـن ينفـق وقتـه؟ هـذا الشـاب الذي جـاء مـن العاصمـة منـذ أيـام حيـث الأنـوار والملاهـي والضجيـج، إنـه لا يـكاد يـرى غيـر مبـان أكثرهـا متهـدم وغيـر هـذه الحجـور المسـقفة بحطـب القطـن و الـذرة يـأوي إليهـا الفلاحـون، إنهـا فـي لونهـا الأغبـر الأسـمر لـون الطيـن والسـماء وفضـلات البهائـم وفـي تكدسـها وتجمعهـا كفـوراً وعزبـاً مبعثـرة علـى بسـيط المـزارع لكأنهـا هـي نفسـها قطعـان مـن الماشـية مرسـلة فـي الغيطـان هـذه القطعـان مـن البيـوت التـي تعيـش فـي بطونهـا ديـدان مـن الفلاحيـن المسـاكين هـي كل مـا تقـع العيـن عليـه فـي هـذه البقـاع، ويزيـد فـي كربـه هـذا السـكون يهبـط عـل البلـدة منـذ الغـروب فـلا يسـمع بعـد ذلـك غيـر خـوار الجامـوس ونبـح الـكلاب ونهيـق الحميـر ونحيـب السـواقي والشـواديف والكباسـات... إن مسـاعدي يريـد دواء لهـذا الضيـق (الحكيـم، 51 - 52: 1988)».

يشـي المقطـع السـردي السـابق بخصوصيـة المـكان ومـا يفرضـه علـى النائـب مـن إسـار وضيـق يصـل إلـى حـد الانسـجام القسـري مـع الفضـاء الجديـد، كمـا يظهـر أثـر المـكان فـي تطويـع ذلـك الإفرنجـي مـع متطلبـات التأقلـم والعيـش فيـه.

وأمـا القاضـي (صاحـب اليوميـات) فقـد تغلـب علـى سـطوة المـكان، واسـتطاع الهـروب مـن إسـار الواقـع عبـر تسـجيل يومياتـه، الأمـر الـذي يبـرز قيمـة العمـل الأدبـي بوصفـه فضـاءً متسـلحاً بإمكانـات قـادرة علـى اختـراق الواقـع وتجـاوزه.

فـي مقابـل ذلـك تتغيـر اللغـة – لغـة المـكان تمامـا – فـي حملهـا الثقـل النفسـي لمسـتخدمها فبقـدر مـا يمثـل الريـف مكانـاً مشـكلا لـدى الغربـاء عنـه، يصبـح عنـد أهلـه مكانـاً أليفـاً، بـل مملكـة هـم فيهـا الملـوك. فـ«الشـيخ عصفـور» مثـلا يجـد لذتـه فـي النـوم بيـن الغيطـان التـي يعيـش فيهـا كالملـك، بـل إنّـه عندمـا ركـب البوكـس فـورد، وهـي علامـة مـن علامـات التمـدن

والتحضر، أصرّ على التشبث بمملكته، وهو فيها الملك فـ«انتزع عوداً أخضر حمله في يده كالصولجان (الحكيم، 15: 1988) ولعل في ذلك إشارة في خطاب «اليوميات» يكشف حالة الارتباط الأصيل والنفسي بالمكان، ارتباط هوية، وارتباط انتماء، فتتبدّل لغة المكان، وتتحوّل العبارة من موحشة إلى أليفة، من وحدة إلى توحّد، ومن نفور إلى اعتزاز.

وعلى كلّ حال، فإنّ الربط بين المكان والبعد النفسي يبرز أن «الأمكنة جميعها بثباتها قادرة على إثارة انفعال الأشخاص والكشف عن دواخلهم المتغيرة، والمكان بهذه الصورة يعمل عمل المرآة العاكسة لكشف أشياء متناقضة (الضبع، 91: 1998). ومن ثم يمكننا القول إن »المكان الذي لا يثير مقداراً ما من المشاعر تعاطفاً أو تنافراً قلما يستحوذ على اهتمام الفنان، والبعد النفسي أو الشعور بالمكان يبدأ من لحظة اختياره لاستخدامه في العمل الفني (أسعد، 86: 1982)

3. البعد اللغوي:

اللغة «بطاقة الهوية الدالة على انتماء مستخدمها للمجموعة اللغوية التي يتقاسم معها الفرد تجربته البشرية العامة، وهي – لذلك - العلاقة التي تحدد هويته لنفسه وللآخرين. كما تمثل اللغة «اختيار الكاتب لما من شأنه أن يخرج بالعبارة عن حيادها، وينقلها من درجة الصفر إلى خطاب يتميز بنفسه (المسدي، 102: 1982).

ومن هنا يحرص كل نص أدبي على لغة خاصة به وبشخصياته، بوصفهم أفراداً في مجتمع له سمات خاصة، وهنا أيضا يتجلى دور صاحب النص، الذي «يجعل من بطله شخصية حية يدعها تتنفس من خلال اللغة، وتفكر بلغتها الخاصة، ويميزها عن غيرها بهذه اللغة، بل يجعل لها معجمها الخاص بوصفه علاقة اجتماعية ندرجها تحت إطار اجتماعي تحيا فيه ويكتمل نموها الاجتماعي (الضبع، 132: 1998)»

وهكذا فإنه من الطبيعي أن يختلف الحامل المعجمي تبعاً لاختلاف المكان، ويتضح ذلك من خلال معجم الأفراد الذين يعيشون في البادية أو في القرية، إذ إن« نسيجاً من الألفاظ نجدها في أمكنة متميزة، وتعلن عن تأثير واضح لهذه الأمكنة في تلك النصوص التي تنعكس فيها ثقافة المكان بوصفه مكاناً خاصاً له حدوده الخاصة المميزة عن غيرها (الضبع، 134: 1998)».

فبالنظـر إلـى النصـوص التـي اهتمّـت بالواقـع الريفـي نجـد أنّهـا قـد تميـزت «بلغتهـا وشـخوصها وفضائهـا وأحداثهـا، فأبعـاد الشـخصية فـي هـذه (الروايـات) تختلـف عـن غيرهـا، ولغـة الشـخصية وثقافتهـا الفطريـة والمكانيـة غيـر التابعـة لأيدولوجيـا خارجـة عـن نطـاق المـكان (الضبـع، 213: 1999)»

ولغـة توفيـق الحكيـم فـي « يوميـات نائـب فـي الأريـاف » أرادت أن تخلـق لغـة أخـرى هـي لغـة الصعيـد، يمتـزج فيهـا الفصيـح بالعامـي بالدخيـل، وهـو مـا يظهـر فـي عـدد مـن الحـوارات التـي تكشـف عـن تلـك الخصوصيـة اللغويـة التـي منحهـا المـكان (القريـة) لأهلهـا. منهـا مشـهد محاكمـة القاضـي لإحـدى النسـاء:

- اسمك.
- محسوبتك أم السعد.
- صنعتك.
- صنعتى حرمة.
- أنت متهمة أنك عضضت إصبع الشيخ عمارة.

فتركت المنصة ووجهت الكلام إلى المحضر:

وحيـاة هيبتـك وشـيبتك إنـى ماعبـت أبـداً أنـا حلفـت ووقـع منـى يميـن إن البنيـة مـا يقـل مهرهـا عـن العشـرين بنتـو (الحكيـم، 34: 1988)»

فـي هـذا الحـوار يهمّنـا التفـاوت بيـن لغـة القاضـي ولغـة المتهمـة، لا مـن حيـث المعجـم فحسـب، بـل مـن حيـث التركيـب، ومـا يُسـمح بـه ومـا لا يُسـمح. فـ (اسـمك)، يجـاب عنـه: (محسـوبتك)، وفيهـا نسـبة إلـى القاضـي (الـكاف فـي محسـوبتك)، وفيهـا كنيـة لا علاقـة لهـا باسـم سـيكتب فـي محضـر رسـمي (أم السـعد). أمـا اسـمها حقـا فـلا ينطـق. وكـذا شـأن بقيـة الحـوار/ التحقيـق: السـؤال فـي ناحيـة والجـواب فـي ناحيـة ثانيـة بعيـدة كل البعـد عـن المجـال والمقـام. بـل إنّ المجـاب نفسـه تغيـره المـرأة كمـا تشـاء فتـارة تجيـب القاضـي وأخـرى تجيـب المحضـر وكأنّهـا تبحـث عـن وجـه مألـوف قـد يفهمهـا.

كما نلمح تأثر لغة النساء بالبيئة، طبعا وتطبّعا، حتى في نواحهن وولولتهن على أزواجهن. تقول إحدى النساء تنوح على أبيها: «يا شجرة ومضللانا يا بويا (الحكيم، 31: 1988. فالنداء/الندبة يستمدّ معجمه عفوا لا تصنعا من تلك البيئة الزراعية مما يجعل الخطاب يحتطب تشابيهه واستعاراته مما يحيط به، من تقاسيم وجه الحياة الزراعية في الريف. تلك هي هوية «لغة» المكان في الرّيف، وجهها من وجه الرّيف هوية وطبعا.

وتظهر «لغة» الريف/المكان بامتياز في نشيد (الشيخ عصفور):

- فتش عن النسوان.
- تعرف سبب الأحزان.
- ورمش عين الحبيبة
- يفرش على فدان (الحكيم، 23: 1988)»

فلفظة (النسوان)، و تصوير رمش عين الحبيبة بأنه يفرش على فدان عبارة وتركيب هما حميميتان كلّ الحميمية، قرويتان حتى لترى من خلفهما مظهر الريف، وروحه، وتشم ريحه وعبق الصفاء فيه. وفي «اليوميات» ست قطع زجلية نلمح فيها الريف: مفرداته وصوره ومعجمه ونحوه وخصوصا بلاغته.

كما تظهر بعض الكلمات التي تظهر أثر البيئة الريفية في لغة أهل القرى نحو يا ندامة، الكل كليلة، يادلعدي، قطيعة (ينظر، الحكيم، ص: 103 - 107 - 126: 1988).

ثمّ إنّ لغة الخطاب ترتدي أثوابا وألوانا ريفية، وتكتسب طعما مميزا، فالعمدة يخاطب فتاة في عمر السادسة عشرة بقوله «ادخلي يا عروسة»، وبقطع النظر عمّا في العبارة من موروث بيئي، فالفتاة في صعيد مصر بمجرد بلوغها تخاطب بلفظ العروسة تيمناً بزواجها، فإنّ في العبارة ما فيها من حميمية ريفية، تنضح بها «لغة» المكان بغض النظر عن تبرّم صاحب «اليوميات» وضيقه.

بل إنّ لغة « الحكيم» نفسه قد اصطبغت في مواضع كثيرة بلغة المكان، فكثيرا ما نجده يتقمص هذه اللغة ويدمجها فيما يدوّن وكأنّها يعتمدها ويجيزها، أو على الأقلّ يجيز لها حقّ أن تكون وليدة بيئتها معبّرة عنه.

وظائف المكان في «اليوميات»:

حركة النص في «يوميات نائب في الأرياف» التزمت حالة واحدة في معظمها وهي «الحركة الدائرية المسورة، «وفيها يتحكم المكان في حركة السرد بما هو تدوين للأحداث لا اختلاقا لها وافتعالا؛ إذ تمت الأحداث المروية في « اليوميات » كلها في مكان واحد وهو إحدى قرى الوجه القبلي بصعيد مصر، وقد أثر ذلك المكان بما تفرع عنه من أماكن داخلية وخارجية في حركة السرد وفعل الحكي والتدوين، وخلق حالة من التفاعل بين أبعاد هذا المكان نقلت صورة مخصوصة للمكان قد تكون أثرت في المتلقي، و جعلت المكان يفرض سطوته عليه، فلم يعد قادراً على تصور المكان بحالته الواقعية التي كان عليها قبل أن يتأثر بفعل الحكي وحركة السرد، وغدت الصورة التي رسمها الكاتب ووظف أدواته السردية لخدمتها هي الصورة المسيطرة عليه وهي صورة مكانية تتجلى فيها أبعاد المكان وحركته التدوينية. فمهما كان في « الأرياف » من قسوة وفقر وجهل، لا يمكن أن ننفي عنه صفات إيجابية، جاذبة لا طاردة تجعل بشرا – مهما كانوا وعلى أيّ صورة كانت حياتهم – يعيشون فيه، ويتمسكون به.

وإن كان للمكان وظائف يحقّقها في حياة من يعيش فيه، فإنّ له وظائف يحققها في الخطاب الناقل له، وظائف تظهر في لغة الحياة كما تظهر في لغة الخطاب.

وأولى تلك الوظائف، الوظيفة التفسيرية، و تتجلى «حينما يحاول السارد من خلال وصفه للمكان أن يمس دور المكان الحضاري والثقافي في آن، بمعنى أنه يحاول أن يثبت البصمة الحضارية للمجتمع، وكذا الطابع الثقافي للعصر في الأمكنة التي يرسمها، وهذا ما نادت به جوليا كريستيفا وأطلقت عليه أيدولوجيم العصر (ينظر، لحميداني، 54: 1993)»وهو ما يظهر لدى توفيق الحكيم في حديثه عن النادى، إذ يصفه بأنه «اسم يطلق على حجرة في منزل عتيق يصعد إليها بسلم من خشب، وهي تضاء بمصباح غازي أي «كلوب» وهذا «الكلوب » هو وحده الشيء الجدير بالاحترام في الحجرة (الحكيم، 52: 1988)». وكأنّ صاحب « اليوميات » يريد أن يظهر لنا هذا النادي، الذي هو في المدن مكان فخم تقصده طبقة معلومة من الناس لقضاء وقت لطيف وممارسة الأنشطة الرياضية والاجتماعية، ليس أكثر من حجرة قديمة في منزل عتيق يصعد إليها مرتادوه بسلم خشبي هي بمقياسهم الحضاري رمز للطابع الثقافي والحضاري للمكان. فالوصف لا يخلو من أثر مرجعية الواصف، تؤُثر فيه وفي خطابه فيحدث تلك المقارنة الخفية – أو الظاهرة

البيّنة - بين المدنية والريف. فلا وصف بريء متجرّد وخصوصا في « يوميات » يكتبها صاحبها لنفسه أكثر ممّا يكتبها لغيره. ولعلّ نظرية «باختين» في «أنثربولوجيا» الثقافة تدعم تفسيرنا لثقافة أنتجت «اليوميات» ورسمت الحياة في الأرياف.

أمّا الوظيفة الثانية التي ينهض بها المكان في « يوميات نائب في الأرياف» و التي يطلق عليها النقاد مصطلح «بروكسيما »المكان، فتعنينا من جهة أن «الراوي قد حاول رصد ما طرأ على المكان الموصوف من تغيرات بفعل الإنسان تتناسب وحاجته الجديدة وأسلوب حياته، فلاشك في أن الطريقة التي تنظم بها الزمان والمكان تكون شكلاً من التواصل يخضع له المرء كما لو كان جزءاً لا يتجزأ من الأفراد(هال، 68: 1988)» وقد ظهر هذا المعنى للمكان أو وظيفته في حديث الأجزخانة، ذلك أنّ «أهالي البلد وأعيانها لاحظوا افتقار البلد إلى أجزخانة أصولية تغنيهم عن البنادر الكبيرة فاكتتبوا فيما بينهم بمبالغ أسسوا بها أجزخانة نظيفة كاملة الأدوات (الحكيم، 114: 1988)». وهو ما يعكس بعضاً من الحس الحضاري لدى هؤلاء البسطاء، الذين تعد « الأجزخانة» بالنسبة إليهم خطوة على طريق التحول الحضاري، وتبقى الحاجة دائما هي الدافع للتحضر. من هنا يبدأ المكان – ولو بقسوته – في دفع « عقل» الإنسان- مهما كانت درجة التعقل التي يملكها هذا العقل – إلى البحث عن حلول تيسّر الحياة، وتلبي الحاجات، وتطوّر الحياة. تلك هي مفارقة الحضارة بما هي نتاج بشري، فالمكان هو الذي يحدث فيه وعليه وبه ذلك التطوّر مهما كان. يقوم الإنسان بتطوير المكان لأنّ المكان يدفعه لذلك دفعا، ويقوم المكان بتطوير الإنسان ويدفعه لذلك دفعا. وتلك أهمّ وظائف المكان في مستوى الواقع على الإطلاق. ثمّ من الوجه الثاني، يقوم المكان بخلق لغة الخطاب ويدفعه إلى تبنيها دفعا، كما يدفع الخطاب إلى استيعاب وظائف اللغة الستة دفعا. وتلك وظائف المكان في مستوى الخطاب على الإطلاق.

وبما أنّنا بصدد الحديث في المكان والخطاب، ننظر توّا في علاقات المكان بعناصر الخطاب أو بأشكاله:

المكان بين الوصف والسرد:

يرتبط المكان بالاستهلال السردي ارتباطاً وثيقاً، لكن ذلك لا يستقيم بالنظر إلى الاستهلال الوصفي بوصفه «مجرد بداية تتابع لكونه أول خيوط السرد، ولكنه حالة عقلية شعورية، نظراً لأنه يحاول توجيه المتلقي إلى كيفية التلقي ونوعه، الذي يؤدى بدوره إلى

توصيل صحيح لرسالة النص، فهي توحي بجو خاص ينقل المتلقي من عالم مغاير لعالم النص المقروء (الضبع، 159: 1998)»

يبدأ الخطاب في «اليوميات» بداية سردية مع الإشارة لمكان محدد دون ذكر اسمه، إذ اكتفي صاحب « اليوميات » بالإشارة إلى أنه «إحدى قرى الوجه القبلي في صعيد مصر (الحكيم، 137: 1988)» ولعل عدم التحديد كان مقصوداً، إذ إنه بعدم ذكر المكان باسمه يحرص على ألا تكون في الذهن تصورات مسبقة عن المكان، وهو ما يكسبه ذلك البعد النموذجي الذي بشر به العنوان مذ جعل « الأرياف» جمعا. ولعلّ هذا الإطلاق يحرّر الوصف كما يسهم في تحريك عناصر السرد وتوظيفها بحرية، وعلامة ذلك أن النصّ لم يذكر هذا التحديد، على أنّ المكان هو إحدى قرى الوجه القبلي، إلا قبيل نهاية « اليوميات « عندما قال: «الواقع أنها بلاد قريبة من الفطرة والوحشية هذا الوجه القبلي من مصر شيء مخيف لساكن الوجه البحري (الحكيم، 141: 1988)»، وبالرغم من عدم تحديده المكان إلا متأخراً فقد قدم إشارات عديدة تشير إلى إحدى قرى الريف المصري. فما الترعة والمصرف والمركز ودوار العمدة ودايرالناحية والمنظرة ومزارع القصب وعود الدغل إلا مفردات لغوية آتية ولا شكّ من تلك البيئة الريفية.

لذلك يقيم الخطاب علاقة وثيقة بين المكان والوصف، «فالمكان بوصفه أشياء موصوفة في إطار النص، فإنّ الوصف يصفه بطريقة حكائية، فالوصف إذن يقدم للمكان (الضبع، 165: 1998)» ويمهّد لذكر ما يحدث فيه تمهيدا يتناسب معه: «وقد نامت الطبيعة وسكنت الأصوات إلا من نقيق الضفادع وحفيف الحشرات (الحكيم، 14: 1988)»، ومن يمعن في هذا التقديم يرى أنه تمهيد لوصف مكان قروي تسكنه ليلاً الضفادع والحشرات. وتحدث فيه تلك الأحداث الفطرية ومنها الجرائم، والفرار، والاختفاء...

ومن أهمّ وظائف الخطاب أن «يقرب المكان(الروائي) من القارئ بالوصف الذي يرسم صورة بصرية تجعل إدراك المكان بوساطة اللغة ممكناً، أو قل إن الوصف وسيلة الروائي لتصوير المكان وبيان جزئياته وأبعاده (الفيصل، 259: 2003)» وهو ما تجلى عند وصفه مسرح الجريمة بأنه «طريق ضيق بين مزارع القصب على الجانبين (الحكيم، 18: 1988)»، والوصف في «اليوميات» لا يخلق مكاناً جديداً، بل إنه «يقدم مكاناً موجوداً من قبل، وهو لذلك يحرك الوصف، وليس العكس، كما أنّ اللغة الواصفة لا تنقل مكاناً مختلقا في خيال المؤلف أو في ذهنه، بل تنقل مكانا موجودا قبل الكتابة». ذلك ما يتضح

في تلك اللوحة البديعة التي وصف بها الحالة التي كان عليها الريف فلا يراه إلا «مبان أكثرها متهدم، وغير هذه الجحور المسقفة بحطب القطن والذرة يأوي إليها الفلاحون، إنها في لونها الأغبر الأسمر لون الطين والسماء وفضلات البهائم وفي تكدسها وتجمعها كفوراً وعزباً مبعثرة على بسيط المزارع لكأنها هي نفسها قطعان من الماشية مرسلة من الغيطان هذه القطعان من البيوت التي تعيش في بطونها ديدان من الفلاحين المساكين هي كل ما تقع العين عليه من هذه البقاع، ويزيد في كربه هذا السكون يهبط على البلدة منذ الغروب فلا يسمع بعدئذ غير خوار الجاموس ونبح الكلاب ونهيق الحمار ونحيب السواقي والشواديف وأصوات بعض الأعيرة النارية يطلقها في جوف الليل الخفراء الخصوصيون أو النظاميون(الحكيم، 51 - 52: 1988)».

نلاحظ من خلال المقطع السابق أنّه ليس من العسير أن نسجّل أثر المكان في لغة الوصف في « يوميات نائب في الأرياف» فقد كان أكثر دقة في تنزيل الخطاب في بيئته لغة وبنية، إذ « يقدم السرد درجة دنيا من المكان، ويأتي الوصف متجاوزاً هذه الدرجة حين يقدم المكان في تجلياته ودلالاته التي يخدم بها السرد (الضبع، 167: 1998)» والخطاب عموما.

فكما تنشدُّ « اليوميات » لغة وأحداثا وشخوصا إلى المكان، تنشدُّ عناصر الخطاب من زمن وشخوص وسرد وحوار إلى الوصف. فينسجم المكان – بما هو مكون سردي – مع بقية المكونات البنائية كالزمان والشخوص والأحداث في نسيج واحد مترابط تتشكل منه «البطانة الفنية للقصة (إسماعيل، 118: د.ت)»، فالمكان في «اليوميات » يبقى مدار الخطاب بأجمعه، ومدار ما فيه أحداث، كما يكسبها أحد عناصر «الوظيفة الرمزية والحكائية ويتضمن معاني عديدة في العمل الروائي (القصصي)، ويدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية كالسرد والشخصيات والأحداث (عزام، 207: 1996)».

وثمة خصوصية ينفرد بها المكان في « اليوميات »، فهو مصدر اللغة ومصدر الحدث ومصدر الشخصية، وبه تناط لبنات الخطاب فتنتظم في مسار قولي مشوق يشد الانتباه بالرغم من أنّه موغل في الذاتية، منكفئ على ذات صاحبه. أو هكذا تقدّمه لنا (اليوميات)؛ لذا فإنّ المكان ليس مكوّنا من مكونات « اليوميات » فحسب، بل إنّه أصل الخطاب إليه تنشدّ كلّ دلالات الفعل اللغويّ.

بل إنّ المكان هاهنا يرقى إلى مستوى المحور الدرامي الذي تدور به وحوله حركة الصراع في قصة الجريمة الفطرية. فكلّ الجرائم التي ذكرت لا يمكن أن تحدث بصورتها التي حدثت بها إلا في هذا المكان (وما يشبهه). فامرأة تعضّ إصبع رجل، وذبح خروف خارج السلخانة، وغسل الثياب في الترعة، وقصة « ريم » برمّتها، أسّها ونبعها ولونها وسببها المكان. ثمّ إنّ الزمان في حدّ ذاته يكتسب فعله وقدرته على تأطير الأحداث من المكان، فالجرائم تتغيّر بحسب المكان، والمكان يجعل الليل موحشا وإطارا للجريمة... كما أنّ المكان ينحت الشخصية وفقاً لطبيعته فحتّى ذلك الإفرنجي قد لبس جلبابا انسجاما مع المكان. والخطاب نفسه يتقمّص لغة المكان ويحاكيها، بل ينسجم معها دالاّ ومدلولا.

المكان والحدث:

الحدث الرئيس الذي تلتئم حوله وبه أطراف « اليوميات » باعتباره خطا سرديا يقيم أود الخطاب ويجمع شتاته، هو الجريمة التي وقعت بقتل «قمر الدولة علوان»، وهي جريمة مرتبطة بالمكان أو بمعنى أدق بالريف ارتباطاً وثيقاً، وهو ما يعبر عنه توفيق الحكيم في مقدمته لليوميات بقوله: «إني أعيش مع الجريمة في أصفاد واحدة، إنها رفيقي وزوجي أطالع وجهها في كل يوم، ولا أستطيع أن أحادثها على انفراد، هنا في هذه اليوميات أملك الكلام عنها، وعن نفسي، وعن الكائنات جميعاً، أيتها الصفحات التي لن تنشر، ما أنت إلا نافذة أطلق منها حريتي في ساعة الضيق»

ولعل تلك المقدمة تكشف عن ثلاثة عناصر متلازمة وهي الراوي والجريمة والمكان، فالجريمة إذن مرتبطة بالمكان، ومرتبطة بالراوي، وهو ما عبر عنه القاضي حين صور الحادثة، حادثة القتل التي تمثل الحدث الرئيس في « اليوميات » فيقول: «الليلة الساعة الثامنة بينما كان المدعو قمر الدولة علوان ماشياً على الجسر بالقرب من داير الناحية أطلق عليه عيار ناري من زراعة قصب والفاعل مجهول، وبسؤال المصاب لم يعط منطقاً وحالته سيئة...العمدة (الحكيم، 13: 1988)».

وترتبط الجريمة هنا بمزارع القصب التي عادة ما تحدث فيها جرائم الثأر في الريف، ولكثرة تواتر تلك الحوادث في الريف، صارت على الرغم من فداحتها بالنسبة إلى هل الريف ومحققي النيابة حادثة بسيطة، وهو ما يشير إليه وكيل النائب العام بقوله: «فقلت في نفسي لا بأس تلك حادثة بسيطة تستغرق مني على الأكثر ساعتين، فالضارب مجهول، والمضروب لا يتكلم ولا يثرثر، والشهود – ولا ريب-: الخفير النظامي الذي سمع صوت

العيـار فذهـب إليـه خائفـاً متباطئـاً، فلـم يجـد بالطبـع أحـداً بانتظـاره غيـر الجثـة الطريحـة، العمـدة الـذي سيزعم لـي حالفـاً بالطـلاق أن الجانـي ليـس مـن أهـل الناحيـة، ثـم أهـل المجنـي عليـه الذيـن سـيكتمون عنـى كل شـيء ليثـأروا لأنفسـهم بأيديهم(الحكيـم، 13: 1988)».

وهكـذا فجريمـة الثـأر التـي لا نـكاد نلمـح لهـا أثـراً فـي المـدن هـي فـي القـرى جريمـة عاديـة لا يتعجـب لهـا النـاس لكثـرة حدوثهـا ولارتباطهـا بالمـكان وعاداتـه وتقاليـده، حتـى إن صاحـب « اليوميـات» يربـط بيـن تلـك الجريمـة المكانيـة وبيـن تحديـد مـكان الجريمـة فـي محضـر رسـمي، وبلغـة رسـمية تزخـر بمفـردات المـكان ومسـمياته فـي دقـة متناهيـة.

يسـهم المـكان – إذن - فـي تحريـك عجلـة الحـدث الوحيـد المتكـرّر فـي اليوميـات، فالجريمـة (الحـدث الرئيـس) هـي جريمـة مكانيـة، ونحـن بـإزاء مـكان واحـد وجريمـة واحـدة متكـررة، وإن اختلفـت تفاصيلهـا فهـي جريمـة مكانيـة، يتحكـم فيهـا المـكان وتسـير تحـت رايتـه. ويصوّرهـا الخطـاب – لضـرورة الدقـة فـي المحاضـر – بلغـة المـكان معجمـا وتركيبـا. فـإذا بنـا أمـام سـجلات مـن المصطلحـات القضائيـة تصـاغ بألفـاظ موغلـة فـي المحليـة تحرّيـا للدقّـة. فلغـة المـكان ضـرورة لا اختيـار بهـذا الفهـم، ضـرورة أملتهـا طبيعـة المـكان فـي علاقتـه بالجريمـة واقعـا، وطبيعـة الجريمـة والمـكان فـي علاقتهمـا بالنائـب خطابـا.

المكان والراوي:

يمثـل الـراوي «وسـيلة تقنيـة يسـتخدمها المؤلـف ليحكـى بهـا الحكايـة، ويتسـتر المؤلـف خلـف قنـاع الـراوي، ليعبـر عـن مواقفـه ورؤيتـه الفنيـة (الكـردي، 47: 2006)»

وقـد تنبـه النقـاد إلـى أهميـة الـراوي والـدور الـذي ينهـض بـه فـي أيّ عمليـة سـردية أو خطـاب سـردي، فقسـموا الـرواة تقسـيمات عـدة، بحسـب الوظائـف التـي يؤديهـا كل منهـم فـي النـص، لأن «هـذه الوظائـف هـي نفسـها العلامـات التـي تحـدد نمـوذج الـراوي وتضبـط موقعـه، وتصنـع قوامـه العقلـي والجسـدي والوجدانـي وتتحكـم فـي طريقـة إدراكـه للعالـم المحيـط بـه، وفـي طريقـة كلامـه وتعبيـره عـن العالـم (الكـردي، 77: 2006)».

وتتجلـى علاقـة الـراوي بالمـكان مـن عدة زوايـا، أولهـا ارتباط الوصـف المكاني بالـراوي، إذ يمثـل «الوصـف صـورة ذهنيـة متباينـة بيـن الـروّاة سـواء كانـت محـاكاة لمـكان حقيقـي، أم كانـت متخيلـة، وهـي مرتبطـة بمنظـور الراوي أي وجهة نظـره في علاقة المكان بالأحداث والشـخوص، ومرتبطـة بقـدرة الروائـي التعبيريـة وبالأهـداف التـي يريـد تحقيقها (الكـردي، 79: 2006)»

أمـاّ الـرّاوي فـي «يوميـات نائـب فـي الأريـاف» فهـو راو مشـارك « يقتـرب مـن الشـخصيات اقترابـاً شـديداً حتـى يصبـح واحـداً منهـا فـي هـذه الحالـة يمتـزج بمواقعهـا (الكـردي، 21: 2006)»، فالحكيـم أو وكيـل النائـب العـام أحـد شـخوص القصـة التـي يرويهـا ومـن ثـم فهـو مشـارك فـي صنـع الأحـداث بـأي وجـه مـن الوجـوه.

وبقـدر مـا تسـهم تلـك التعليقـات التـي تصـدر عنـه فـي الكشـف عـن علاقـة الشـخوص بالمـكان، فإنهـا تمثـل مـن جهـة أخـرى حدثـا فـي حـدّ ذاتهـا، فعلـى تحقيقـه تتوقّـف القضيـة أو تسـتمرّ حتـى نهايتهـا، وبأوامـره تتحـرّك الشـخوص – فـي المـكان – أو تثبـت، وتنطـق أو تصمت.

والرؤيـة السـردية فـي «يوميـات نائـب فـي الأريـاف» رؤيـة مـن الخلـف أو الـوراء، وهـي «التـي تكـون فيهـا معرفـة الـراوي أكثـر مـن معرفـة الشـخصيات (الكـردي، 92: 2006)» لكنّهـا – ولكـون صاحبهـا نائبـا – قـد تتحـوّل إلـى رؤيـة مـن الدّاخـل، فربـط الأحـداث بعضهـا ببعـض، والاسـتنتاج والقـرار والتقييـم، كلّ ذلـك مـن طبيعـة العمـل النيابـي القانونـي.

كمـا تبـرز علاقـة الـراوي بالمـكان فـي «اليوميـات» محـل الدراسـة في رؤيـة الـراوي للمكان والمسـافة التـي تفصـل بينـه وبيـن العالـم المصـور «عالـم القريـة »، فالـراوي فـي يوميـات نائـب فـي الأريـاف علـى الرغـم مـن كونـه مشـاركاً فـي الأحـداث فهـو ليـس مـن أهلهـا ولا تربطـه بالريـف أيـة أصـول ومـن ثـم فهـو« يقـف فـي نقطـة بعيـدة عـن القريـة، بـل يتعالـى أحيانـا علـى المـكان بمـا فيـه تعاليـا قـد يكـون سـببه تحـري الموضوعيـة، وقـد يكـون تعالـي تبـرّم ورفـض. فالأحـداث المصـورة تبـدو سـطحية هزليـة ومثيـرة للضحـك (الكـردي، 21: 2006)»، ومـا ذاك إلاّ لموقـف ضمنـي منهـا، ولكـن طلبـا للوضـوح والمباشـرة مـن جهـة أخـرى. لذلـك فـالمقارنة بيـن «صـورة القريـة فـي »يوميـات نائـب فـي الأريـاف « التـي التقطهـا الحكيـم بعينـي وكيـل النيابـة الـذي تفصلـه عـن القريـة مسـافة كبيـرة، وبيـن صـورة القريـة فـي روايتـي الأرض لعبـد الرحمـن الشـرقاوي، وأيـام الطفولـة لإبراهيـم عبـد الحليـم، تظهـر أنّ الرؤيـة فـي « اليوميـات» لا تتعاطـف مـع الشـخصيات، بـل تسـخر منهـا وتسـتهزئ بآلامهـا وترتفـع علـى نقائصهـا، بـل إن الـراوي لا يتـورع عـن وصـف الفلاحيـن مـرة بأنهـم كالديـدان، ومـرة يشـبههم بالذبـاب، وذلـك بخـلاف الـراوي ابـن القريـة (الكـردي، 21: 2006)».ومـا ذاك إلاّ لأنّ الخطـاب فـي «اليوميـات» خطـاب ذاتـي لا تفصـل فيـه مسـافة بيـن حـدوث الحـدث وتدوينـه. فهـو خطـاب عفـويّ يكتـب للـذات أكثـر ممـا يكتـب للآخـر.

الخاتمة:

حاول هذا البحث أن يختبر فاعلية المكان في رواية «يوميات نائب في الأرياف، وسعى إلى تحليل ما يمنحه المكان للشخصيات والأحداث من رؤى ودلالات، ونجمل ها هنا أبرز ما توصلنا إليه من نتائج:

إنَّ علاقة الراوي بالمكان في « اليوميات » علاقة سطحية بمعنى أنّها علاقة فوقية ترصد ولا تختلق، فليس المكان عنده سوى تلك البقعة التي يروى من خلالها أحداث حدثت له وأمامه، وإن جاز لنا أن نقبل ازدراءه للمكان وتصويره ما به من تخلف حضاري بوصفه نوعاً من تعرية الواقع، أو نوعاً من النقد الاجتماعي الذي يقوم به بغية رصد أحوال المجتمع الريفي ومحاولة النهوض بها، فلا يجوز لنا بحال أن نسلم بأن الإطار الذي وضع فيه الراوي المكان كان إطاراً محايداً. لكن – ومع شيء من الشغف بالأدب – نسجل لـ«اليوميات» هذه القدرة على ابتكار لغة طريفة هي لغة المكان، تلك اللغة التي هي مجموع العلامات الدالة على ما تمليها عليها البيئة من معجم وتركيب، وصياغة وأسلوب.

امتلكت يوميات الحكيم خصوصيتها مما أتاحته من فرصة للتفصيل والتدقيق في وصف المكان ورسم العامل الريفي الذي تتحرك في إطاره الشخصيات.

للمكان في اليوميات لغته الخاصة، لا في مستوى اللفظ فحسب، بل على المستوى الدلالي الذي يرتبط بالمرجعية البيئية والاجتماعية التي تدور فيها الأحداث، فضلاً عن القدرة الإيحائية والدلالية للمكان في تعبيره عن التفاوت الطبقي والتراتبية الاجتماعية.

للمكان في اليوميات مردود دلالي عكسته الرؤية السردية ووجهة النظر التي قدمها القاضي، والتي أسهمت في منح الأماكن دلالات ذات أبعاد نفسية اجتماعية ولغوية.

الراوي في اليوميات راوٍ عالم بأدق التفاصيل التي تتصل بالمكان والشخصيات، فهو يرسم حدودها ودرات أفعالها إزاء المكان وما يفرضه على الشخصيات من مواقف وتقاليد اجتماعية.

اتكأ النسق الرؤيوي في الرواية على الأسلوب الساخر الذي يقوم على التقابل بين المدينة والريف، وما تعكسه وجهات النظر من مواقف الشخصيات حول كل من الريف والمدينة وامتلاك كل منهما منطقه الحياتي الخاص.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

أسعد، سامية (1982). القصة القصيرة وقضية المكان. مجلة فصول، *2*.

إسماعيل، عز الدين (د.ت.). الأدب وفنونه (ط8). دار الفكر العربي.

بدوى، عبد الرحمن (1984). موسوعة الفلسفة(ط1). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

بيرك، جورج (2000). فضائل الفضاءات (ترجمة عبد الكريم الشرقاوي). دار توبقال للنشر.

الحكيم، توفيق (1988). يوميات نائب في الأرياف. مكتبة مصر.

حليفي، شعيب (1992). النص الموازي. مجلة الكرمل، 46.

حمودة، حنان محمد (2006). الزمكانية في الشعر الحديث (أحمد عبد المعطي حجازي نموذجاً). عالم الكتب الحديثة.

خليل، لؤي (1997). مجلة عالم الفكر (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)، 25.

رشيد، أمينة (1998). تشظي الزمن في الرواية الحديثة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

صالح، صلاح (1997). قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر. دار شرقيات للنشر والتوزيع.

عبد المعطى، علي (1997). قضايا الفلسفة العامة ومباحثها. دار المعرفة الجامعية.

عزام، محمد (1996). فضاء النص الروائي مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان. سوريا دار الحوار للنشر.

الضبع، مصطفى (1998). استراتيجية المكان. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الضبع، مصطفي (1999). رواية الفلاح وفلاح الرواية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة دراسات أدبية.

فاليط، برنارد (1999). النص الروائي تقلبات ومناهج (ترجمة رشيد بن حدو). المجلس الأعلى للثقافة.

الفيصل، سمر روحي (2003). الرواية العربية (البناء والرؤيا). اتحاد الكتاب العرب.

قاسم، سيزا (2000). بناء الرواية -دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

قباري، محمد (1984). علم الاجتماع والفلسفة. دار المعرفة الجامعية.

كاصد، سليمان (2003). عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية). دار الكندي للنشر.

الكردى، عبد الرحيم (2006). الراوي والنص القصصي. مكتبة الآداب.

لحمداني، حميد (1993). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي (ط2). المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر.

مؤنسى، حبيب (2001). فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية. منشورات اتحاد الكتاب العرب.

مرتاض، عبد الملك (1998). في نظرية الرواية _ بحث في تقنيات السرد. عالم المعرفة (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)، *240*.

المسدي، عبد السلام (1982). الأسلوب والأسلوبية (ط2). الدار العربية للكتاب.

هال، إدوارد (1988). البروكسيمياء أو علم المكان (ترجمة بسام بركة). العرب والفكر العالمي (مركز الإنماء القومي)، *2*.

Romanization Arabic References: الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية:

ʾasa‘dun sāmmiyyata 1982). alqiṣṣata alqaṣīrata waqaḍiyyata almakāni majallatu fuṣūlin 2.

ʾismā‘yl ‘izza al-dīni d t). al’dabu wafunūnuhu ṭ dāra alfikri al‘arabiyyi

bidawan ‘abda al-Raḥmāni 1984). mawsū‘ata alfalsafati ṭ almu’assasata al‘arabiyyata lil-dirāsāti wa-al-nashri

bīruka jūrja 2000). faḍā’ila alfaḍā’āti tarjamata ‘abdi alkarīmi al-sharqawiyya dāra twbqāl lil-nashri

alḥakīmu tawfīqa 1988). yawmīāti nā’ibun fī al’aryāfi maktabatu miṣrin

ḥalīfiyyun shu‘ayba 1992). al-naṣṣa al-mwāzy majallatu alkarmali 46.

ḥammūdatun ḥanāna muḥammada 2006). al-zmkānyah fī al-shi‘ri alḥadythi ’aḥamida ‘abdu al-m‘ṭy ḥujjāziyya namūdhajan ‘ālama alkutubi alḥadythati

khalīlun lu’ayyin 1997). majallata ‘ālami alfikri almajlisa alwaṭaniyya lil-thaqāfati wa-al-funūni wa-al-ʾādābi 25.

rashydun ’amynata 1998). tushaẓẓī al-zamanu fī al-riwāyati alḥadythati alhay’atu almiṣriyyatu al‘āmmatu lil-kitābi

ṣālihun ṣulā’āaḥa 1997). qaḍāyā almakāni al-riwā’iyyi fī al’dabi almu‘āṣiri dāra sharqīātun lil-nashri wa-al-tawzī‘i

‘abdu almu‘ṭā ‘uliya 1997). qaḍāyā alfalsafati al‘āmmati wamabāḥithihā dāru alma‘rifati aljāmi‘iyyati

‘azzāmun muḥammada 1996). faḍā’a al-naṣṣi al-riwā’iyyi muqārabata bunyawiyyati takīniyyati fī ’dabi nabīli salīmāni sūriyyā dāri alḥiwāri lil-nashri

al-ḍab‘u muṣṭafā 1998). astrātyjyah ulmukānni alhay’atu almiṣriyyatu al‘āmmatu lil-kitābi

al-ḍab‘u muṣṭaffiyya 1999). riwāyata alfalāaḥi wflāḥ al-riwāyata alhay’atu almiṣriyyatu al‘āmmatu lil-kitābi silslata dirāsātin ’dabiyyatin

fa-al-yṭ birnārda 1999). al-naṣṣa al-riwā’iyya taqallubātin wamanāhiji tarjamata rashyda bn ḥaddū almajlisa al’ʾlā lil-thaqāfati

alfayṣalu samara rawḥī 2003). al-riwāyata al‘arabiyyata albinā’a wa-al-ru’yā ittiḥāda alkitābi al‘aribi

qāsimun syzā 2000). binā’a al-riwāya’ahi- dirāsata muqāranatin fī thulāthiyyatu najību maḥfūẓu alhay’atu almiṣriyyatu al‘āmmatu lil-kitābi

qubbāriyyun muḥammada 1984). ‘ilma alijtimā‘i wa-al-falsafati dāru alma‘rifati aljāmi‘iyyati

kāṣd salīmāni 2003). ‘ālama al-naṣṣi dirāsata bunyawiyyatin fī al’asālībi al-sardiyyati dāra alkinidī lil-nashri

alkurdiāʾāʾu ʻabda al-raḥīmi 2006). al-rāʾī wa-al-naṣṣa alqaṣaṣiyya maktabatu alʾādābi

liḥamidānī ḥamīda 1993). binyata al-naṣṣi al-sardiyyi min manẓūri al-naqdi alʾdabiyyi ṭ almarkaza al-thaqāfiyya alʻarabiyya lil-ṭibāʻati wa-al-nashri

muʾnsā ḥabyba 2001). falsafata almakāni fī al-shiʻri alʻarabiyyi qirāʾta mwḍwʻātyah jamāliyyatan manshūrātu ittiḥādi alkitābi alʻaribi

murtāḍun ʻabda almaliki 1998). fī naẓariyyatu al-riwāyati _ baḥthun fī tiqniyyāti al-sardi ʻālamu almaʻrifati almajlisa alwaṭaniyya lil-thaqāfati wa-al-funūni wa-alʾādābi 240.

almasadiyyu ʻabda al-sullāmi 1982). alʾuslwba wa-alʾuslwbiyyata ṭ al-dāra alʻarabiyyata lil-kitābi

hālun ʾidwārd 1988). al-brwksymyāʾ ʾaw ʻalima almakāna tarjamata bassāma barakati alʻaraba wa-al-fikra alʻālamiyya markaza alʾinmāʾi alqawmiyyi 2.

The Significations of Place in Tawfiq Al-Hakim's Novel Yawmyat Na'ib Fi Alaryaf

Sabah Habis Alsowaifan[1]

Abstract:

This research studies the significations of place, its contexts and its presence in the novel of Yawmyat Na'ib Fi Alaryaf. It aims to analyze the role of place, its limits, and its significance in the narrative point of view. That's to say, it analyzes the techniques the novelist has used in order to depict the countryside space and its effects on the novel's characters, their traits, their attitudes and views. This is added to showing the momentous role of space in promoting cultural, social and political traditions.

Keywords: Significations, Na'ib, Alaryaf, Novel, Place.

(1) College of Arts - Kuwait University (Kuwait City - Kuwait)
alsowaifan@yahoo.com